قراءة في كتاب بحر بلا ساحل : ابن عربي، الكتاب والشريعة

لميشيل شودكيفيتش

عبد القادر بلغيث

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر.

ملخص :

كتاب بحر بلا ساحل للباحث الأكبري ميشال شودكيفيتش إجابة لسؤال العلاقة بين مكتوبات ومؤلفات محي الدين ابن العربي والقرآن الكريم، وبعد القراءة المتأنية والعميقة يخلص المؤلف الى القرآن كان المحور والمركز الذي تدور عليه جل كتابات الشيخ، بداية من كتابه العمدة الفتوحات المكية الى كتاب التجليات وكتاب العبادلة وغيرها .

هذا بخصوص القسم الاول من الكتاب، أما القسم الثاني فهو بيان للمرجعية السلوكية للتصوف التي بناها الشيخ الأكبر على اسس متينة من الحدود والضوابط الشرعية، الواردة في الكتاب والسنة، ويظهر ذلك جليا خاصة في كتاب التنزلات الموصلية، وكتاب مواقع النجوم .

الكلمات المفتاحية : القرآن الكريم ، الفتوحات المكية، محي الدين ابن العربي،

Abstat:

Thé book (An Ocean Without Shore) by thé Akbarian author M. Chodkiewicz is a respense to thé questioning about thé relation between thé writings of Ibn Arabi and the holy Quran, And after the deep reflexion and studding, author concluded that the Holly Quran was the axis and the center in which all Ibn Arabi's works tourns above. From the reference of his works (Al futuhat al makkiya) to (the theophanies) or the book of (who their name was Abdullah) ans others.

This purpose is about the first part of the book, for the second part, the author speaks about the sufi moralistic reference which is regarded and developed from the Great master in the basics of strong pillars going from the traditional

hermeneutics of the sacred texts of the Qur'an and prophetic tradition, and we can see this clearly in two books : (Moussol's theophanies) and (the book of stations of stars).

Key terms: Holly Qur'an, the Mekkian openings, Muhyidine Ibn Arabic.

مؤلف الكتاب هو ميشيل شودكيفيتش، يعدُّ من كبار المتخصص في تراث الشيخ الأكبر، فقد عمل على نشر تراثه في الغرب، وأشرف على ترجمة العديد من نصوص الفتوحات المكية إلى اللغتين الفرنسية والإنجليزية، كما ترجم وقدَّم لمجموعة من النصوص الأكبرية التي كتبها الأمير عبد القادر الجزائري في كتابه المواقف، ومن أهم مؤلفاته كتاب الولاية والنبوة في مذهب ابن عربي، وقد عمل شودكيفيتش مديرا لأبحاث التصوف في مدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية بباريس، كما كانت لديه مشاركات في مؤتمرات وملتقيات في التصوف الإسلامي وتاريخيه، وعشرات المقالات المنشورة بالفرنسية والإنجليزية في المجلات المتخصصة .

يعدُّ كتاب "بحر بلا ساحل" من أهم مؤلفات شودكيفيتش الذي يقدم فيه قراءته ونظرته الخاصة للمرجعية القرآنية لكتابات الشيخ محي الدين ابن العربي، وأهميتها في بنية جل كتاباته، وهذا ما سيسعى من أجله في تتبع مؤلفات الشيخ، وبيان مرجعيتها القرآنية. ويعدُّ هذا الكتاب كحصيلة لمجموعة من البحوث والمداخلات التي ساهم بها المؤلف في مجموعة من الملتقيات في كل من باريس وموسكو ومرسية ووهران.(ص 17)[1]

في تقديم المؤلف للطبعة العربية يقول أن هناك فكرة سائدة ترى بأن مرجعية الفكر الأكبري هي مرجعية فلسفية أفلاطونية محدثة، هذه القراءات قدمت ابن عربي على أنه رائد التصوف الفلسفي، وهذا ما يخالفه المؤلف تماما . وهو لا ينكر أن مؤلفات ابن عربي حافلة بالرموز والألغاز التي عجز عن حلها الكثير من الباحثين، ولكن هذا لا يعني أن ليس هناك من استطاع حل هذه الألغاز، التي يعد مفتاحها الأساسي القرآن الكريم والسنة النبوية (ص ص 09، 10).

وقد صرح ابن عربي أن كل ما كتبه ما هو إلا من حضرة القرآن وخزائنه، ويحاول المؤلف إزالة الروابط الموجودة بين نصوص الشيخ والمصدر الفلسفي لها، ويدلل على ذلك بأن الشيخ لم يكن له اطلاع

[1]- أرقام الصفحات الواردة في متن هذا المقال من كتاب " بحر بلا ساحل: ابن عربي الكتاب والشريعة" لميشال شودكيفيتش، ترجمة أحمد الصادقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2018م.

على الكتب الفلسفية المتداولة في عصره، كما أنه لم ينكر أن الفيلسوف ليس عمله كله باطل، إضافة إلى استخدام الشيخ بعض المصطلحات الفلسفية، ولكنه بالمقابل يصر على استعمال بعض المصطلحات القرآنية بدل الفلسفية (ص 11).

هناك فكرة مهمة أشار إليها شودكيفيتش وهي أن النص الأكبري كان متشربا بالقرآن، ولا يمكن اعتباره نصا فلسفيا، ولكن أتباعه وعلى الخصوص صدر الدين القونوي وتلامذته الذين كانوا يحملون ثقافة فلسفية، نقلوا التراث الأكبري بلغة تنظيرية فلسفية، كانت تناسب الثقافة الفارسية التي انتشرت بسرعة في ذلك الوقت . وهذا ما أسس ل"مدرسة أكبرية تقليدية " أدخلت لغة مجردة لنقل تجربة رؤيوية. (ص12).

مقدمة المؤلف

اعترف المؤلف في المقدمة بصعوبة النص الأكبري، وهذا ما واجهه مجموعة من الباحثين والمستشرقين، وهذا يرجع إلى ضخامة هذا التراث، ووجود ألغاز، وغموض الكثير من العبارات (ص 18)

ومما جاء في المقدمة مدى تأثير الشيخ الأكبر في الأوساط الإسلامية الصوفية، حتى امتد من المغرب إلى الشرق الأقصى، هذا فضلا عن امتداد المدرسة الأكبرية إلى كبار التلاميذ والشراح مثل القونوي والجيلي والقاشاني والجامي، وهناك من رجع إلى هذا التراث ولكن لم يحل عليه، ويضرب مثالا على ذلك بمؤسس الطريقة العلاوية في الجزائر الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي في تفسيره للقرآن الكريم الموسوم ب " البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور"، والذي استعار فيه بعض ما كتبه ابن عربي بشكل شبه حرفي في الباب الخامس من كتاب الفتوحات دون أن يشير إلى ذلك، ويرجع ذلك إلى رقابة جمعية العلماء الاصلاحية في الجزائر، ويغلب على كتابات العلاوي استعمال مفاهيم أكبرية. ويذكر المؤلف أيضا تأثير ابن عربي في مختلف الطرق الصوفية مثل الطريقة الخلوتية والطريقة النقشبندية والسنوسية . (ص ص 20، 21)

كما يظهر تأثير الشيخ الأكبر في الطريقة التجانية، وفي أهم مصادرها على غرار كتاب ميزاب الرحمة الربانية،. وكتاب جواهر المعاني لعلي حرازم الذائع الصيت، وهو حافل أيضا بمقاطع من كلام الشيخ الأكبر، ويعد هذا الكتاب من أكثر الكتب تأثيرا في الطريقة التجانية، كما كان كتاب جواهر المعاني المرجع الأساسي في بقية الكتب التجانية مثل كتاب "بغية المستفيد" وكتاب "الرماح"، ويظهر تأثير التراث الأكبري أيضا في عدة كتب صوفية، مثل كتاب "سلوة الأنفاس" للشيخ مُحمَّد بن جعفر الكتاني، وكتاب "نعت البدايات" للشيخ ماء العينين الشنقيطي، هذا الأخير الذي يظهر تأثره كبيرا من خلال الإحالات الكثيرة عليه، وعلى مدرسته (ص ص26، 30).

ومن المتأثرين بالمشرب الأكبري الشيخ عبد الوهاب الشعراني، الذي لخص كتاب الفتوحات المكية، وكان له دور في انتشار أراء ابن عربي في الأوساط الصوفية، في مختلف العالم الإسلامي. وقد وصل امتداده إلى أعماق افريقيا عبر كتابات إبراهيم أنياس، إضافة إلى مُحَمَّد المهدي تلميذ الشيخ عبد الكريم الساماني، الذي تتلميذ بدوره على يد مصطفى البكري، الذي أخذ على الشيخ عبد الغني النابلسي، والذي يعد من كبار شراح المتن الأكبري (ص ص 31، 33). ولا يعطي المؤلف أهمية كبيرة لرعاية الدولة العثمانية للشيخ الأكبر وتراثه، وكون ذلك سببا في انتشار مذهبه، فهذه الدولة لم تكن حاضرة في الهند والشرق الأقصى لتقوم بنشر تراثه (ص ص 42، 43)

ويشير المؤلف إلى رسالة التحفة المرسلة التي ألفها فضل الله البرهانبوري ذات المشرب الأكبري، التي كان لها شهرة كبيرة في منطقة كجرات ببلاد الهند، وقد ترجمت إلى الفارسية والتركية، وكتبت عليها مجموعة من الشروح، وهي لا تزال متداولة في الهند وأندونيسيا وتركيا والبلاد العربية (ص ص 33 ، 34)

ويحيلنا المؤلف على تأثير ابن عربي على كُتاب آخرين مثل النبهاني في كتاب جامع كرامات الأولياء، وكتاب الإبريز لعبد العزيز الدباغ، وكتابات ابن عجيبة. هذا وقد امتد أيضا تأثير الشيخ إلى التراث الشعري والأدبي الصوفي، مثل ديوان مُحَمَّد الحراق ت 1845م، إضافة إلى تأثيره على التراث الشعري المكتوب باللغات التركية والفارسية والأردية (ص ص 35، 38).

ومن طرق تأثير الشيخ أيضا، تداول الخرقة الأكبرية في الأوساط الصوفية، والتي كان لها سلاسل وأسانيد، وممن انتسب إليها السيوطي والشعراني وابن حجر الهيثمي وزكريا الأنصاري والقشاشي، وعدد المتأخرين مثل أحمد الكمشخناوي . (ص ص 39، 40) . هذا ويصف المؤلف ابن العربي أنه ينتمي للتراث المشترك بين الطرق الصوفية، لأنه لا يمكن حصره في أي طريقة، وزيادة على ذلك فابن عربي لا يتوجه إلى معاصريه ومريديه أو إلى المسلمين وأتباعه، بل إلى الانسانية عامة (ص 43).

ويشير المؤلف إلى جهود الأمير عبد القادر الجزائري في خدمة التراث الأكبري من خلال إصداره الطبعة الأولى لكتاب الفتوحات المكية بماله الخاص، وإشرافه الشخصي عليه، هذا إضافة إلى شروحه العميقة للمقولات الأكبرية، ويصفه شودكيفتش بـ"الموهبة الأكبرية". وقد كان للأمير عبد القادر أهمية مركزية في انتشار الإرث الأكبري منذ نهاية القرن 19 م، وقد تلقى الأمير الخرقة الأكبرية عن والده، وهو بدوره ألبسه إيَّاها الشيخ مرتضى الزبيدي (ص 40).

ويرى المؤلف أن نهاية القرن 19 وبداية القرن 20عرفت نهضة أكبرية، فظهرت طبعات كثيرة لمؤلفات ابن العربي، التي وصف بعض طبعاتها بالرديئة، مثل تحقيق ونشر كتابي "التنزلات الموصلية" وكتاب "العبادلة"، كما طبعت بعض الكتب التي لا تصح نسبتها للشيخ، مثل كتاب تحفة السفرة، وكتاب

"ساعة الخير"، و"صيحات البوم"، و"الشجرة النعمانية". وقد وصف شودكيفيتش نشر عثمان يحي للفتوحات المكية بالطبعة المحققة الهائلة، التي تستحق اعتبارا خاصا. إضافة إلى ما قامت به سعاد الحكيم في تحقيقها لكتاب الإسراء، كما وصف بعض الدراسات بالتيسير السطحي، مثل كتابات محمود غراب، هذا إضافة إلى العديد من الدراسات الأكاديمية (ص ص 41، 42).

الفصل الأول

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ[1]

في بداية هذا الفصل بيان بالاعتراضات والانتقادات التي طرحها خصوم ابن عربي مثل ابن تيمية الذي يعد "الأب المؤسس للرد على الأكبرية، وهو الذي رسم خريطة الانتقادات الحادة اللاحقة". ومن نقاد الشيخ أيضا حسين ابن الأهدل في كتابه "كشف الغطاء"، وبرهان الدين البقاعي في كتابه "تنبيه الغبي"، والسخاوي في "القول المنبي"، هذه الأعمال كان لها تأثير في الدراسات العربية الإسلامية والغربية الاستشراقية . (ص 46)

إن نصوص ابن عربي نجد فيها كثرة الإحالات على الآيات القرآنية، هذا إضافة إلى تفسيره الضخم المفقود، وهو كتاب "الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل" (ص 47) . وينوه المؤلف بموقف ابن العربي الذي انتقد كل من كان يشتغل بظاهر القرآن، ويهمل باطنه، وكذلك ذم من اهتم بالباطن وأهمل الظاهر، فقال: "والسعادة كل السعادة مع الطائفة التي جمعت بين الظاهر والباطن ". (ص 52)

وبخصوص تنزل القرآن على الألسنة والقلوب، يشير ابن العربي إلى التنزل المستمر للقرآن، فالكلمات نفسها التي سمعها النبي ﷺ، ولكن الدلالات جديدة، كما أن هذه الدلالات لا تتعارض فيما بينها (ص 55).ويفرق ابن العربي بين الفهم للكلام من جهة، والفهم عن المتكلم من جهة أخرى، فالقسم الأول للعامة، والثاني للعارفين، ففهم الكلام ليس هو الفهم عن المتكلم، ويرى المؤلف أن الله وحده هو الذي يكشف عن معاني القرآن، والعبد لا تستطيع قواه إدراك فهم القرآن، ولهذا ينبغي التخلي عن هذه القوى من أجل تلقي التنزل القرآني، وهذا ما اصطلح عليه المؤلف بالتعليم الإلهي (ص 56).

إن متن الفتوحات ومن خلال مقدمته أو خطبته، يروي فيه الشيخ لقائه بالفتى الذي جمع بين أضداد كثيرة، وهذا الفتى هو الذي أخذ عنه كتاب الفتوحات المكية، وهو "الإمام المبين"، وهو عبارة قرآنية تدل على الكتاب الذي فيه كل شيء، وهذا الفتى ما كان إلا القرآن (ص ص57، 59).

---

[1]- سورة لقمان الآية 27.

الفصل الثاني

مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ [1]

يبدأ هذا الفصل من وصف الشيخ محي الدين ابن العربي القرآن بأنه البحر الذي لا ساحل له، ويرى المؤلف أن الساحل هو المعنى الظاهر والحدود الشرعية التي تحقق الكمال للإنسان (ص 65).

يحاول شودكيفيتش أن يكشف كيفية تعامل ابن عربي مع بعض الكلمات القرآنية، وكيفية تفسيرها تفسيرا لغويا ظاهريا، ويبني عليها تفسيره للآية القرآنية، ومثال ذلك قوله تعالى: (**وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ**)[2] ومعنى الشجرة هنا مشتق من شجر نفسه، والتشاجر معناه الانقسام، هذا التفسير الذي يبنى عليه تفسير بقية الآية في قوله تعالى: (**فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا**)[3] ، وهذا دلالة على التمايز الجنسي، وهذا ما ينسجم مع مفهوم الانقسام وانقطاع الوحدة (ص ص 71، 72).

ومن التفاسير التي تم فيها الاعتماد فيها على المعنى اللغوي للكلمة ما جاء في قوله تعالى: (**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**)[4]، فكلمة "أحدا" عند ابن عربي هي اسم إلهي، وهكذا يمكن فهم الآية حرفيا أي من كان يرجوا لقاء ربه فلا يشرك اسم الأحد في عبادته، لأن الأحدية تجهلك وترفضك، والأحد لا يمكن الوصول إليه، ولا يمكن أن يتوجه إليه، بخلاف اسم الرب الذي يطلب مربوبا. ولهذا يجب أخذ القرآن بحرفيته فقد أنزل (**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**)[5] ، وهناك أمثلة أخرى على ذلك (ص 73).

إن ابن عربي يرفض المسلمة التي يقول بها المفسرين، وهي أن الله يعبر بالتقريب، ولذلك يفسر قوله تعالى: (**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ**)[6] ، قضى هنا بمعنى حكم حكما غير مردود ، فكل مخلوق أراد أو لم يرد لا يعبد إلا الله (ص 75)

ومن أمثلة التفسير الحرفي ما جاء تفسير قوله تعالى : (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً**)[1] ، فالناس كافة ليسوا هم المعاصرين للنبي كما يقول المفسرين، فالناس أمته ﷺ من آدم إلى يوم القيامة،

[1] - سورة الأنعام، الآية 38 .

[2] - سورة البقرة ، الآية 35.

[3] - سورة طه، الآية 122.

[4] - سورة الكهف، الآية 110.

[5] - سورة الشعراء، الآية 195.

[6] - سورة الإسراء، الآية 23.

وكونه ﷺ مبعوثا إلى البشر الذين قبله، باعتبار أن الأنبياء الذين كانوا قبله هم نوابه، وهذا ما يقاربه المؤلف مع شمولية الحقيقة المحمدية، وشمولية الرحمة الإلهية (ص ص 79، 80).

وفي أثناء عرض مفاهيم ومنظومة الولاية والأولياء وطبقاتهم، وخصائصهم، يستند ابن عربي على بعض التفاسير الظاهرية في مفهومها اللغوي، فيفسر مصطلح (الكفر) استنادا إلى مرجعها اللغوي وهو الستر، وذلك في قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ، خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)**[2] أي ختم الله على قلوب أوليائه فلم يسعها غيره، وعلى أبصارهم غشواه فلا يبصرون سواه (ص 89).

وفسر قوله تعالى : **(فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ)**[3]، هم الذين اختاروا مصارعة النفس، ورفضوا إشباع حقوقها. وفسر قوله تعالى: **(الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ)**[4]، هم الأولياء الذين ينظرون إلى صلاتهم على أنها ليست لهم، وإن كانوا يؤدونها، وغيرها من التفاسير التي تتبع هذا المنهج (ص 92).

ويرى المؤلف أن هذا النمط من التفسير غير معتاد عند المفسرين، وذلك لعدم استنفاد دلالة الألفاظ والآيات التي تحيل عليها. إن هذا التحرر والتعدد في فهم القرآن هو من دلالات الوحي المستمر. (ص ص 95، 94)

إن هذا المنهج الظاهري في تفسير القرآن يرتبط بالمنهج الفقهي عند الشيخ الأكبر، الذي يتوافق في الكثير في أصوله مع المذهب الظاهري، والذي لا يمكن إنكاره، ولكن يبقى ابن العربي مجتهد مستقل. ويراه المؤلف صاحب مذهب فقهي أكبري، وهو أكثر سلمية مع المذاهب التي عرفها الإسلام (ص97). ويذكر المؤلف التزام ابن العربي بالرؤية الظاهرية في الأحكام الشرعية، وعدم أخذه بقياس الفقهاء، ويستنتج من خلاله أن الشريعة ليست رداءً للحقيقة، فالحقيقة لا يمكن لها أن تخرق الشريعة وتخالفتها، بل الشريعة هي عين الحقيقة، وهذا ما صرح به ابن عربي في بعض نصوصه (ص 101).

---

[1]- سورة سبأ، الآية 28

[2]- سورة البقرة الآية 06 والاية 07.

[3]- سورة فاطر، الآية 32.

[4]- سورة الماعون، الآية 05.

الفصل الثالث

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

خصص هذا الفصل للحديث عن كتاب الفتوحات المكية الذي يعد الكتاب المحوري في المنظومة الأكبرية ، وقد عرف مجموعة من الشروح والتعليقات على بعض أبوابه مثل شرح مشكلات الفتوحات المكية لعبد الكريم الجيلي، الذي شرح فيه بداية الباب 559، وهناك شرح جزئي آخر باللغة الفارسية ألفه محب الله إلهآبادي، وهناك مختصر علوم الفتوحات المكية لحسن بن طعمة البيتماني، وهي شروحات قليلة إذا ما قورنت بما عرفه كتاب فصوص الحكم (ص 104).

ويعتبر شودكيفيتش أنه رغم ما لقي فصوص الحكم من اهتمام من قبل الشراح والدارسين، ولكن كتاب الفتوحات هو وحده الذي يمثل الحصيلة النهائية لفكر ابن العربي في مختلف مظاهره، ولذلك يقول: "ويعد كتاب الفتوحات ضروري لفهم كتاب الفصوص"(ص105).

بعد التعريف بمكانة كتاب الفتوحات عند تلاميذ المدرسة الأكبرية يحاول المؤلف تفكيك بنية هذا الكتاب من خلال فهم هندسة أبوابه وفصوله . ولقد سكت الباحثون المسلمون والغربيون عن ذلك، وصمت تلاميذ الشيخ عن سر ذلك، فضلا عن بقية الأجيال ممن درسوا وشرحوا النص الأكبري، مثل القونوي والجنيدي والقاشاني والقيصري (ص ص 107، 108).

ومما يطبع كتاب الفتوحات أن هناك بعض الأبواب تعالج الموضوع نفسه. وهناك عدة مقاطع أعاد البحث فيها بشكل كلي أو جزئي، وهذا ما أحدث عدم التجانس في بعض الأحيان، وهذا يصدق على ما قاله ابن العربي: " فإن تأليفنا هذا وغيره لا يجري مجرى التواليف، ونجْري فيه نحن مجْرى المؤلفين"[1]. ومن ناحية ترتيب الأبواب كان من المفروض أن يأتي الباب 88 في معرفة أسرار أصول الأحكام، الذي يعرض فيه لأصول الأحكام الشرعية والفقهية، قبل الشروع في الأبواب 68 حتى الباب 72، التي كانت حول الأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادات، واستدرك ذلك بقوله: "ولكن هكذا وقع فإنا ما قصدنا هذا الترتيب على اختيار"[2]. وهذا يوحلنا إلى الانقطاعات المفاجئة في القرآن الكريم، ولكن ذلك ليس إلاَّ في الظاهر عند ابن العربي فهو يقول: "ومعلوم أن المناسبة ثمَّ، ولكن في غاية الخفاء"[3]. هذه الوحدة يدركها العارف والتي يعجز

[1]- الفتوحات م 01 ص 59

[2]- الفتوحات م 02 ص 163

[3]- الفتوحات م 03، ص 200 .

عنها المفسرين، وهذا ما يمكن أن نفسر به ترتيب أبواب الفتوحات وفصوله. ومن هنا يخلص المؤلف إلى أن هذا الكتاب ليس موسوعة غير منظمة من المعارف كما يظهر (ص ص 108، 110).

يذكر محقق كتاب الفتوحات عثمان يحي أن عدد أبواب المنازل مماثل لعدد سور القرآن الكريم، غير أنه لم يصل إلى أي نتيجة، ويمتد فصل المنازل من الباب 270 إلى الباب 383، وهو الذي له صلة بأحد أبواب الفصل الأول وهو الباب 22، هذا الباب يضمُّ تسعة عشر منزلا وهي أمهات المنازل التي تضم سلسلة أخرى من المنازل. إن مصطلح (المنازل) له مجموعة من الدلالات عند الشيخ، ولكنه يؤكد في عدة مواضع أن المنازل هي سور القرآن، كما ذكر في كتاب التنزلات الموصلية. وفي كتاب آخر ألفه ابن عربي سنة 603ھ وهو كتاب منزل المنازل، وهذا الكتاب مكمِّل للباب 22 من الفتوحات المكية، فالمنازل المذكورة في هذا الباب ذكرت أيضا في هذا الكتاب. فالمنزل المسمى في كتاب منزل المنازل بـ"منزل الإستواء من العماء" ذكر في الباب 22 باسم "منزل الاتيان من العماء" (ص ص 111، 113).

كما أن كل منزل في الباب 22 يحتوي على مجموعة من المنازل الأخرى، فمنزل الاستخبار مثلا يشتمل على السور التي تبدأ بالاستخبار، مثل سورة الغاشية، ومنزل الحمد يشتمل على خمسة منازل وهي الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر، ومنزل الرموز يشتمل على السور التي تبدأ بالحروف المقطعة. كما أن كل سورة كذلك تشتمل هي أيضا على مجموعة من المنازل، فكل آية أو كلمة هي أيضا لها منزل (ص 114).

وقد رتب الشيخ أبواب فصل المنازل من آخر سورة في القرآن إلى غاية أول سورة. وهذا الصعود معراج كما يرى المؤلف، وهو راجع إلى عبور الإنسان عبر المنازل الروحانية، وهو على عكس النظام العادي لترتيب سور القرآن. وهذا المعراج يقود المريد من آخر سورة، وهي سورة الناس إلى أول سورة، وهي سورة الفاتحة التي تعبر عن الفتح الأقصى والنهائي (ص 115).

وأثناء الدخول إلى أبواب فصل المنازل يمكن ملاحظة هذا الانسجام بين هذه الأبواب والسور القرآنية، فالمنزل الثالث وهو الباب 272 المسمى: "منزل تنزيه التوحيد "، يناسب وينسجم انسجاما كبيرا مع آخر ثالث سورة في القرآن، وهي سورة الإخلاص، وموضوعها التوحيد الإلهي . ومن أمثلة ذلك أيضا المنزل السادس وهو الباب 275 :" منزل التبري من الأوثان"، وهو يناسب سورة الكافرون، والتي موضوعها نبذ عبادة الأوثان، والمنزل 47 وهو الباب 316 : "منزل القلم الإلهي"، وهو منزل سورة القلم، وهكذا إلى آخر منزل، وهو الباب 383، وهو منزل العظمة الإلهية، وهو منزل سورة الفاتحة، والمعراج إلى هذا المنزل هو العروج إلى أسرار أم الكتاب. وبهذا يتبين للباحث أن أبواب الفصل الطويل منسجمة ومتناسقة تماما، مهما بدت غريبة من أول الأمر(ص 116).

ومن أكثر الأبواب انغلاقا وألغازا هو الباب 273، وهو:"منزل الهلاك"، والذي إن لم نكن على معرفة بعلاقته بسورة المسد فسيبقى مغلقا تماما، ولا يمكن معرفة البيوت والخزائن والمفاتيح التي كانت تتكرر كثيرا، فعندما يذكر الشيخ أن أول خزانة من أول بيت لها ثلاثة أقفال، وأول هذه الأقفال له ثلاثة مفاتيح، وأول هذه المفاتيح يدور أربعمائة مرة. فهو يقصد بالخزائن هي كلمات الآية، وعدد الأقفال هو عدد الحروف التي تتشكل منها كل كلمة، والمفاتيح هي العلامات الرقمية التي تشكل كل حرف، وعدد دورات المفتاح تدل على القيمة العددية لهذه الحروف. وهناك أمثلة أخرى حول الانسجام بين أبواب فصل المنازل والسور القرآنية . ويخلص المؤلف إلى أن: " بنية النص الأكبري محددة ببنية القرآن " (ص 120).

ومن المشكلات التي تعترض القارئ لفصل المنازل في نهاية أبوابه التي تتضمن القوائم الطويلة لعدد العلوم الخاصة بكل منزل، وحل هذا المشكل يظهر ببساطة عندما نعرف أن كل علم من العلوم الخاصة بكل منزل له علاقة بمحتوى آية أو مجموعة من الآيات لسورة المنزل . وهذا ما يجعل لها انسجاما خفيا لا يدرك في الظاهر. وكمثال على ذلك نذكر الباب 329، المتعلق بسورة الرحمن، نجد "علم فهم القرآن"، يعود لقوله تعالى: **(عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)**[1]، وعلم الحساب يطابق كلمة حسبان الواردة في قوله تعالى : **(الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ)**[2]، وعلم تقرير النعم يطابق قوله تعالى: **(فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)**، وعلم الفناء والبقاء يطابقان قوله تعالى: **(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ)**[3]. وهكذا إلى بقية أبواب المنازل، وما يقابلها من آيات سورها القرآنية (ص ص 126، 127).

يطرح المؤلف إشكالية عدم إشارة الشراح السابقين للشبكة القرآنية الموجودة في مؤلفات ابن عربي، رغم أنهم من المتتبعين باهتمام لكتاباته، وهذا لا ينفي فرضية أنهم كانوا جاهلين بهذا الأمر، وهذا ما يرجح أن سكوتهم عن ذلك كان مقصودا، ولكن ماهي أسبابه .

وللإجابة عن ذلك يقول المؤلف أن هناك مبدأ سائد عند الصوفية، وهو وجوب كتم الأسرار الإلهية لغير أهلها، وهذا يقود إلى القول أن حل هذه المشكلات لا مثيل له، وغير مسبوق. ويعتقد المؤلف أن تركة ابن عربي لم تكن في أية لحظة من اللحظات بدون وارث، وكان التراث الأكبري يضمن دون انقطاع هذه المعطيات، ومعطيات أخرى كثيرة، وهناك مخطوط منزل المنازل أضاف أحد النساخ مشيرا إلى معنى المنزل في هامش النص بخط صغير " يعني سورة كذا " (ص ص 129، 130).

[1]- سورة الرحمن الآية 04.

[2]- سورة الرحمن ، الآية 05.

[3]- سورة الرحمن، الاية 26 والآية 27.

الفصل الرابع

فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ[1]

في هذا الفصل يدرس المؤلف الكتابات الأخرى لابن العربي المرتبطة بالقرآن الكريم. في البداية تعرض لكتاب "إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن"، وهو تفسير غير كامل للقرآن، فسر فيه ابن العربي سورة الفاتحة وقسما من سورة البقرة . وهو تفسير مختصر يعمد على منهج الالتحام الدقيق بالحرف. ومن الكتب القرآنية كتاب "إشارات القرآن" الذي أورد فيه إشارات مختزلة ومختصرة جدا، تتطرق لمجموعة من الآيات القرآنية من كل سورة . ومن كتبه في التفسير، التفسير الكبير المفقود الذي يؤسس فيه لمنهج آخر في فهم القرآن، وذلك من منظور ثلاثي، يمثل الجلال والجمال والكمال. ومن كتابات الشيخ القرآنية ما ضمنه ديوانه الشعري في مائة وأربع عشر قصيدة، مستوحاة من أرواح السور القرآنية، ومصدرها القرآني واضح (ص ص 132، 133).

ومن كتب الشيخ الأكبر ذات المرجع القرآني كتاب "الإسراء"، الذي ينتمي لأدب المعراج، وبنية هذا النص تتناغم مع الآيات السبع الأولى من سورة النجم، والتي استمد منها عددا كبيرا من العبارات المتميزة، مثل سدرة المنتهى، وقاب قوسين، والفعل أوحى. ويرجع المؤلف كتاب "المشاهد"[2] إلى الآية 18 من سورة النجم، وهي قوله تعالى : **(لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)**، ويرتبط هذا الكتاب بكتاب الإسراء، وكان تلميذ ابن العربي ابن سودكين حريص على ضم الكتابين مع بعض في كتابه "النجاة من حجب الاشتباه". (ص ص 134 ، 135)

كتاب "العبادلة":

من الكتب التي ترتبط بسور القرآن كتاب العبادلة: وهو يحتوي على مجموعة الفصول، كل فصل يبدأ باسم عبد الله ابن كذا، ثم يضيف أحد الأسماء الإلهية، ابن كذا فيضيف له اسم أحد الأنبياء، مثل عبد الله ابن ادريس بن عبد الخالق، وعبد الله بن مُحَّد بن عبد الواحد، ويصرح ابن عربي في بداية الكتاب أنه مترجم لمختلف أشكال الولاية . ولذلك يقول شودكيفيتش: أن " الاطلاع على مؤلفات ابن عربي يعلمنا وجوب الانتباه الدقيق إلى بداياتها، وعناوين الكتب والأبواب، وإلى الخطبة التمهيدية، وإلى القصائد الممهدة لكل باب، فغالبا ما نعثر هنا على المؤشرات التي تسمح لنا بالكشف عن غوامض النص" (ص 138)

[1]- سورة فصلت ، الآية 53.

[2]- يرجع الباحث عبد الباقي مفتاح فصول كتاب المشاهد الى الحروف المتقطعة التي تبتدأ به أربعة عشر سورة قرآنة، وقد فصل ذلك في شرحه في كتابه "الشرح القرآني مشاهد الأسرار القدسية". طبع ونشر هذا الكتاب في دار الكتب العلمية بلبنان سنة 2010م.

ففي بداية الباب الأول من كتاب العبادلة يمكن إيجاد بعض التوافق مع آيات سورة الفاتحة، فمثلا يقول الشيخ: " كنا عنك بالجمع " تحيل الى الآية الرابعة إياك نعبد، وعبارة "طلب العون" تحيل الى تتمة الآية نفسها في قوله تعالى: **(إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)**، و"كثرة الطرق والمستقيم منها"، يشير إلى الآية السادسة **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)**. كما أن الباب الثاني من كتاب العبادلة يتوافق مع سورة البقرة، من خلال وجود العديد من الإشارات التي تبين ذلك. وبناءًا على هذا يمكن كشف بقية الأبواب، وعلاقتها بالسور القرآنية، فالباب 18 مثلا يتوافق مع سورة الكهف، الذي جاء حول لقاء سيدنا موسى بسيدنا الخضر، والباب 19 يوافق سورة مريم، ويتحدث عن قيام الحق بأرزاق الكائنات، وهو ما يتوافق كرامة تغذية السيدة مريم أم المسيح عليه السلام، وهكذا في العديد من الأبواب . (ص ص 139، 141).

كتاب "التجليات":

من كتب ابن العربي التي لها ارتباط مباشر بالقرآن كتاب التجليات، الذي يحتوي على 109 باب، ويشتمل عنوان كل باب لتجلي من التجليات، مثل "تجلي العدل والجزاء"، و"تجلي الجود"، وهذا الكتاب له كذلك مفتاح أشار إليه ابن العربي بداية الكتاب، وهو قوله " عالم البرزخ ومعقل الأعراس"، والبرزخ هو عالم الخيال، أو عالم المثال القائم بين عالم الأجسام وعالم الأرواح، ومعقل الأعراس يوجد في عنوان الباب 382 من كتاب الفتوحات، وهو منزل سورة البقرة، وهذا المنزل ينتمي إلى منزل الرموز الذي سماه الشيخ في الباب 22 بمنزل البرازخ، وسميت كذلك سورة البقرة في كتاب إشارات القرآن باسم البقرة البرزخية، كل هذه الإشارات تبين مدى العلاقة الموجودة بين كتاب التجليات وسورة البقرة (ص ص 145، 146).

وذكر ابن العربي أن كتاب التجليات يمكن عده جزءا من كتاب الفتوحات المكية، فهو يمثل تكملة للباب 382 المخصص لمنزل سورة البقرة . وينوه المؤلف بالعلاقة الموجودة بين سورة البقرة ومفهوم البرزخ، ويرجع ذلك لعدد من الحالات المتوسطة الواردة في السورة، وهي حالة البقرة التي وصفها موسى عليه السلام بأنها لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك، وحالة الرجل الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، وحالة الطيور الأربعة التي عادت إلى الحياة، وهناك تماثل آخر ممكن عده، وهو أن سورة البقرة وسط بين أم الكتاب الفاتحة وبقية سور القرآن. ويمكن كذلك أيضا إضافة الأمة المحمدية الموصوفة في هذه السورة بأمة الوسط (ص ص 146، 147)

وهناك توازي بين أبواب كتاب التجليات وآيات سورة البقرة، فالباب 08 "تجلي الإلتباس" ومنه يعرف الإنسان دقائق المكر والكيد، وهذا التجلي له صدى واضح في الآية 09 من سورة البقرة في قوله تعالى:

(يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)[1]. ويشير التجلي 19 " تجلي السبحات المحرقة " للآية 20 من سورة البقرة في قوله تعالى: "**يكاد البرق يخطف أبصارهم**"، والتجلي رقم 58 " تجلي سريان التوحيد" يشير إلى الآية 115 من سورة البقرة في قوله تعالى: **(وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)**[2]. و"تجلي المحبة" مرتبط بقوله تعالى: **(وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)**[3] ص ص 149، 153)

يقول المؤلف كنتيجة لتحليلاته : " فما نلحظه في كتاب التجليات كما في أغلب كتابات ابن العربي، إنما هو نزول القرآن على القلب الذي لولاه ما أمكن الوحي أن يجاوز الحناجر عند التلاوة " (ص 154)[4].

كتاب "الفناء في المشاهدة":

من الكتب ذات المرجع القرآني كتاب الفناء في المشاهدة، وهو يرتبط بالباب 286 في فصل المنازل، وهو المنزل المتعلق بسورة البينة، وقد ذكر ابن العربي في كتاب الفناء في المشاهدة أنه سيفصل القول في هذا الموضوع في فصل المنازل من كتاب الفتوحات، وفي هذا الكتاب إحالات أخرى على سورة البينة، وهي الوصل 17 من الباب 369، والباب 559، هذا إضافة إلى الإشارة إلى هذه السورة في ديوانه الشعري، وفي كتاب "إشارات القرآن"، وفي كل هذه النصوص توجد عبارات مماثلة أو أكثر مشابهة تشير إلى القرابة فيما بينها، وتشير أيضا إلى الاستعمالات المتنوعة في معالجة الفكرة نفسها (ص 155).

فصل المنازلات وعلاقته بكتابَيْ "التراجم" و"الشاهد":

الفصل الخامس من كتاب الفتوحات هو فصل المنازلات الذي يضم مجموعة من الأبواب، والمنازلة تعبر عن التقابل، وقد عرفها ابن عربي بأنها لقاء بين الله والإنسان، وكل واحد منهما نزل في نصف الطريق، وهذا الفصل ليس له بنية قرآنه تنظمه، وهو يتكون من 78 بابا، وكل باب منه يوازي أحد السور القرآنية (ص 156).

---

[1] - سورة البقرة، الآية 09.

[2] - سورة البقرة، الآية 115.

[3] - سورة البقرة، الآية 165.

[4] - مما يجب التنبيه إليه أن الباحث الأكبري عبد الباقي مفتاح قام بتتبع نصوص كتاب التجليات ال109 وبين مرجعيتها في آيات سورة البقرة، وذلك في كتابه "الشرح القرآني لكتاب التجليات"، نشر في دار عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، سنة 2017م .

ويرتبط فصل المنازلات بكتاب "الشاهد"، وهو أحد الرسائل الصغيرة التي ألفها ابن عربي، ومصطلح الشاهد يعني "بقاء صورة المُشاهَد في الشاهِد نفسه"، ويعبر عنها في كتاب الشاهد بقوله: "ما تَبَقَّى في قلب العبد بعد الانفصال من مقام المُشاهَدة"[1]، ويضم كتاب "الشاهد" 27 بابا، ويحتوي على مؤشرات تحيل إلى أبواب فصل المنازلات، وهي ترابطات نلاحظها بفعل تكرار بعض الكلمات والجمل (ص ص 156، 157)

ولكتاب التراجم صلة قوية بفصل المنازلات، . ويتشكل هذا الكتاب من تسعة وستين بابا، كل باب يرتبط باسم إلهي، مثل ترجمة التعظيم يتعلق باسم العظيم، وترجمة التقديس تتعلق باسم القدوس، ولهذه التراجم ترتيب تنازلي يبدأ بسورة الحاقة، التي توافق الباب الأول، والباب الثاني يوافق السورة 68 ، وهكذا إلى الباب الأخير الذي يتوافق مع سورة الفاتحة (ص ص 157، 158).

وهناك تقابل وتماثل بين كتابَيْ "المشاهد" و"التراجم" مع أبواب فصلَيْ المنازل والمنازلات . وكمثال على ذلك نذكر الباب 16 من كتاب "التراجم" "ترجمة الباطن" والباب 27 من كتاب "الشاهد" هو "باب الباطن"، ولا ينحصر هذا التشابه في العنوان، بل هو موجود حتى في الموضوع، هذا إضافة توافق هذين البابين مع الباب 400 من فصل المنازلات، ويعالج نفس الموضوع كذلك، وعنوانه يقارب البابين السابقين، وكل هذا يتوافق مع سورة القمر، ولذلك يمكن الرجوع إلى فصل المنازل حيث يرتبط هذا الذي ذكرناه مع الباب 330، الذي يمثل منزل نفس السورة . (ص ص 158، 159)

وفي مثال آخر نذكر الباب 13 من كتاب "الشاهد" وهو:" باب العناية " يتوافق مع الباب 49 من كتاب التراجم، وهو:"ترجمة العناية"، وهذا يتوافق مع الباب 412 من فصل المنازلات، والباب 363 من فصل المنازل، وهو منزل سورة الأنبياء، والموضع المشترك بين هذه الأبواب هو ذلة الأولياء (ص 160).

يواصل مؤلف الكتاب البحث عن المرجعية القرآنية عند الشيخ الأكبر في الفصل السادس من كتاب الفتوحات، الذي محور كل باب منه مقام لأحد الأقطاب وهَجِيرُه، ولا يستبعد أن يكون لهذه الأبواب ترتيب خاص بالسور القرآنية (ص 162).

وينبغي التذكير أن الوحدة القرآنية أو البذرة القرآنية يمكن اختزالها في بعض الكلمات، هذه الوحدة الجزئية تكون حاملة لمعنى مستقل وممتلئة بالبلاغات، ومشحونة بالومضات، وكمثال على ذلك يمكن الرجوع إلى كتاب الفناء في المشاهدة، والباب 286، وموضوعها فناء العبد الذي يعد شرطا للمشاهدة، وهذا كله ناجم عن بداية الآية القرآنية (**لَمْ يَكُنْ**) في بداية سورة البينة (ص 163).

---

[1]- الفتوحات، م 02، ص 567 . كتاب الشاهد، حيدر أباد 1948، ص 01.

وحول البذرة القرآنية التي ترتكز عليها بعض الأبواب كلمة "سبق" الواردة في قوله تعالى : **(وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى)**[1] هذه الكلمة أو البذرة القرآنية لها صدى في البابين 49 و 50 من كتاب التراجم، والبابين 363 و 364 من فصل المنازل في كتاب الفتوحات، والبابين 412 و 413 من فصل المنازلات، والبابان 14 و 15 من كتاب الشاهد (ص 163)[2].

وبعد هذه الدراسة العميقة لبيان العلاقة والترابط بين النص الأكبري والمتن القرآني، يتوصل المؤلف إلى القول: "أن المذهب الأكبري ليس تأملا في القرآن فحسب، إنه مرتبط به ارتباطا عضويا، ولا يمكن حقا فصله عنه، فكلام الله عند ابن عربي هو الطريق، وهو الحقيقة، وهو الحياة، فيه يتحقق المجرى الذي يعيد الإنسان إلى وضعه الأصلي، إلى كونه صورة الحق"(ص 164).

إن الوارث المحمدي يتميز بكونه الآيات باطنه فيه، فالكلام الإلهي يجتاح العارف بالله، فيصبح القرآن طبيعته وسلوكه، وتجربته الروحية، وعلومه ليست إلا استحواذ القرآن عليه، وفي ذلك يقول ابن عربي أن : " الانسان الكلي هو القرآن"[3] (ص ص 165، 166).

في آخر هذا الفصل يبحث المؤلف في سر جعل كتاب الفتوحات في ستة فصول، وقد أرجعها إلى أيام الخلق الستة، ويرى المؤلف أن العدد ستة هو أول عدد كامل، وهو عدد يرمز للإنسان الكامل (ص 167).

أما عن تتابع الفصول فيرجعه إلى عدد الصفات أو النسب الالهية، أو إلى الأسماء الإلهية، أو إلى الأسماء الستة، فالفصل الأول وهو فصل المعارف يرتبط بوضوح باسم العالم، والفصل الثاني فصل المعاملات يرتبط باسم المريد، ويتوافق الفصل الثالث وهو فصل الأحوال مع اسم القادر، وفصل المنازل مرتبط باسمه تعالى المتكلم، والفصل الخامس وهو فصل المنازلات والمخاطبات الفهوانية بين الله والإنسان مرتبط باسمه تعالى السميع، أما الفصل السادس وهو فصل المقامات له علاقة باسمه البصير، أما اسم الحي فهو يطابق الباب الافتتاحي (ص 168).

---

[1] - سورة طه، الآية 129.

[2] - حول تفصيل موضوع علاقة فصلي المنازل والمنازلات بكتابي الشاهد والتراجم من جهة وعلاقتهم بالسور القرآنية من جه أخرى قام عبد الباقي مفتاح بتصنيف كتاب "شروح على التفسير الاشاري للشيخ محي الدين ابن العربي" في أربعة مجلدات، ونشره في دار العالم الكتب الحديث الأردن سنة 2017م.

[3] - كتاب الأسفار ص 17 .

الفصل الخامس

الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ[1]

جاء هذا الفصل حول أهمية الشريعة وتطبيقها من خلال مجموعة من كتابات الشيخ الأكبر، فالقرآن لا تظهر معانيه وأسراره للمريد إلا إذا عمل بالشريعة، فالشريعة والحقيقة لا تنفصلان وقد خصص ابن العربي بعض الكتابات حول بيان هذه العلاقة مثل **كتاب مواقع النجوم** الذي بين فيه العلاقة الصارمة بين النعم الإلهية وضرورة تطبيق الأوامر الشرعية (ص ص 169، 170).

وقد قسَّم الشيخ هذا الكتاب إلى ثلاثة مراتب، في كل مرتبة تقابل ثلاثة أفلاك، الفلك الإسلامي والفلك الإيماني والفلك الإحساني. فالفلك الإسلامي يقصد به الخضوع لتعاليم الإسلام وظاهر شريعته، وقد احتوى هذا الفلك على الجزء الأكبر من كتاب مواقع النجوم. والذي عرض فيه بتفصيل للأوامر الشرعية، وخصص كل عضو من أعضاء الإنسان وما يترتب عليه من تطبيق الحدود الشرعية، وهذا يترتب عليه أن كل عضو له كرامات تخصه، فالعين عند تطبقها للشريعة وتجنب المحرمات يخصها الله بكرامات مثل رؤية الأشياء المستورة ومشاهدة الكعبة، إلى أن تصل إلى مشاهدة الحق، وهكذا بالنسبة لبقية الأعضاء السبعة من سمع ولسان ويد وبطن، فمن هذا نعرف مدى الترابط الوطيد بين التحقق الروحي والتطبيق الصارم للأحكام الشرعية (ص ص 171، 176).

من الكتب التي نبه فيها ابن العربي الى أهمية تطبيق الأحكام الشرعية كتاب التنزلات الموصلية، وذكر فيه أهمية وضع الشريعة من أجل إصلاح العالم وإثبات العبودية وظهور عزة الربوبية (ص 169). ويتحدث أيضا في هذا الكتاب عن الصلاة وأسرارها، منها أن حركات المصلي المتتالية تطابق عوالم الطبيعة، فالوضع العمودي للصلاة هو لعالم الإنسان، والأفقي لعالم الحيوان، والسجود يماثل عالم النبات. كما أشار في هذا الكتاب لأسرار ومعاني الوضوء والغسل، وأثناء ذلك قال أن العقل يجب غسله من الأفكار والتنظيرات التي ينتجها ليكون مهيئًا لتلقي الخطاب الإلهي . وقد عرض المؤلف باختصار لمضامين هذا الكتاب حول أسرار أفعال وأقوال الصلاة من تكبير وتوجه للقبلة . وفي أسرار الوقوف والقراءة، أي قراءة القرآن. (ص ص 178، 181)

وحول موضوع الصلاة التي لها أهمية كبيرة في بلوغ درجات الولاية، خصص لها الشيخ للحديث عنها مجموعة من الأجوبة على أسئلة الحكيم الترمذي في الباب 73 من كتاب الفتوحات المكية، ففي جوابه على السؤال 12، يعبر عن الصلاة بالسفر، وهو سفر عمودي أو معراج . وهناك أسفار تقع في الصلاة على

[1]- سورة المعارج، الآية 23.

أربع مراحل، وهي سفر منه وسفر إليه، وفيه ، وبه، وهذه الأسفار تتوازى مع القيام والركوع والسجود والجلوس (ص ص 191، 192)

وكانت الأجوبة على الأسئلة 97 حتى 115 حول الصلاة، ولكن بلغة غير مفهومة ورمزية، والتي جاءت حول أسرار الهيئات المختلفة للصلاة وأحوالها. فالإجابة حول السؤالين 99- 100 كانت حول سورة الفاتحة، والسؤالين 101 ، 102 حول السجود، والسؤال 09 حول تكبيرة الإحرام، والأسئلة الممتدة من 103 إلى 107 حول تكبيرة الإحرام والسجود ، وخلال ذلك يشير إلى أسرارها ومعانيها، فقول المصلي لتكبيرة الإحرام والقيام لها رمزية لصفة السيادة وخلافة الإنسان، والركوع هو حالة تلبس المصلي بالعبودية، وهو حالة متوسطة في تخليه عن سيادته، أما السجود فهو محو كلي وعبودية مطلقة. وجاء السؤال 109 حول الوقار والسكينة في الصلاة، وأما السؤال 192 فكان حول الضياء وهو الوضوء للصلاة، وبخصوص السؤالين 113، 114 فكانت الاجابة عنهما حول القدس والطهارة وما يتعلق بأسرار الوضوء الذي يطهر الجسم والروح. وخصص الشيخ الإجابة على الأسئلة التي تمتد من السؤال 147 الى السؤال 151 لموضوع الصلاة، من حيث تفسير أسرار معاني البسملة، وألفاظ التشهد، أما السؤال 154 فجاء حول أم الكتاب وهو الفاتحة، وهي كذلك من أركان الصلاة (ص ص 195، 197).

وما يمكن استخلاصه من كل هذا أن الصلاة بالنسبة للعارف بالله المحقق هي تحقق العبادة والعبودية والعبودة ، والعبودية أن يكون له ميراث من الأسماء الحسنى، فلكل اسم عبودية تخصه، ومن هنا شرع المؤلف في بيان مفاهيم العبادة والعبودية والعبودة عند الشيخ الأكبر. وعن ذلك يقول الشيخ : ولكن مطلبي من الحق العبودة المحضة التي لا تشوبها ربوبية، لا بالحس ولا بالمعنى "[1] (ص 199)

[1]- الفتوحات م 02ص 122